مظاهر البذخ والترف عند السلاجقة في العصر العباسي

م. د. سولاف فيض الله حسن/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

المقدمة:

حدد المؤرخون الثلث الاول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تاريخا لقيام دولة السلاجقة الكبرى، حينما ارتقى طغرل بك[1]عرش نيسابور سنة (429هـ/1037م)، وكان ظهور السلاجقة على مسرح الاحداث مؤشراً لمرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية، إذ توالى على حكم دولة السلاجقة العظمى ستة من السلاطين الاقوياء، الذين كان لهم الأثر الكبير في توسيع رقعة الدولة السلجوقية، وكانت عصورهم من العصور المعروفة بالترف والبذخ في قصورهم داخل بغداد، وهي من العصور الزاهية التي بدأت من (429-552هـ/1037-1157م) منذ عهد طغرل بك الى السلطان سنجر الذي يُعد آخر سلاطين السلاجقة الاقوياء، والذي كان عصره من أطول العصور في هذه الدولة[2]، اذ طالت مدة حكمه ما يقارب ستين عاما، وخطب له على المنابر في العراقين وبلاد الشام وديار بكر وضربت السكة باسمه، وتلقب بالقاب كثيرة كما تلقب اسلافه، وكانوا يتباهون في الالقاب والقصور والملابس والحلي من المجوهرات النادرة والثمينة، فضلا عن الاثاث والتزيين في منازلهم بصورة مُبالَغ فيها جدا [3].وقد حاول طغرل بك بعد دخول بغداد الدخول في مصاهرات سياسية مع الخلافة العباسية؛ لتدعيم موقفه اولا ولربط الخلافة العباسية بأواصر اجتماعية مع السلاجقة ثانياً[4].وهذه المظاهر من الترف والبذخ في قصور السلاطين السلاجقة في بغداد هي محور بحثنا.

أصول السلاجقة ومواطنهم وبداية ظهورهم:

اسس السلاجقة امبراطورية واسعة في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي في منطقة الشرق الاوسط، ويرجع اصل السلاجقة الى عشيرة قنق التركية التي تمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة اخرى مجموعة القبائل التركية المعروفة بـ(الغز)[5]، وقد سكنت الصحراء والسهوب والهضاب الممتدة من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا الى بحر الخزر(بحر قزوين) غربا، ومن سيبريا شمالاً الى شبه القارة الهندية وبلاد فارس جنوباً [6]. وفي عام (375هـ/985م) نزحوا من مواطنهم الاصلية الى بلاد ماوراء النهر وخراسان[7]؛ بسب قلة الموارد الاقتصادية مع تزايد اعدادهم من جهة واستمرار الحروب مع القبائل الاخرى من جهة ثانية [8]، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر سيحون وجيحون ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان وجرجان، فأصبحوا بالقرب من الاراضي الاسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس عام (21هـ/642م) وينتمي السلاجقة الى جدهم سلجوق بن دقاق، ودقاق لقبه (تيمور بالك) ويعني: (القوس الحديدي) اي جد العائلة دقاق، وهي فرع من (الاوخوذ) وكان دقاق من اعيان ترك الخزر، وكان وزيراً للخاقان

---

[1] طغرل بك:هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق ابو طالب السلطان الذي يقال له: طغرل بك ،انظر:زكار:سهيل :تاريخ العرب(والاسلام (دمشق :دار الفكر،1982)، ص329.

[2] الجاف :حسن :الوجيز في تاريخ إيران، (بغداد :بيت الحكمة :2003)،ج 2،ص 130؛الصلابي:علي محمد :دولة السلاجقة((القاهرة :مكتبة الإيمان :2006)، ص 18.

[3] الجميلي :رشيد عبد الله :إمارة الموصل في العصر السلجوقي 489-521هـ، (بغداد:المكتبة الوطنية :1980)،ص 33(

[4] فوزي :فاروق عمر :الخلافة العباسية السقوط والانهيار، (عمان :دار الشرق:1998)،ج2،ص 161(

[5] ايلسيف: بيكيتا :الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، (بيروت :دار الكتاب :1986)،ص 343(

[6] طقوش :محمد سهيل :تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، (بيروت :دار النفائس :2010)،ص 43(

[7] الخالدي :فاضل :الحياة السياسية ونظم الحكم، (بغداد:مطبعة الإيمان :1969)،ص ص 144-145(

[8] الجاف :الوجيز :ج 2،ص 137(

بيغو أحد خانات تركستان، ويبدو انه حصل نزاع بينهما بسب الغارات التي كان يشنها بيغو ضد الأراضي الإسلامية، غير ان هذا النزاع سُوِيَ باسترضاء دقاق الذي استمر في خدمة سيده حتى وفاته ([9]).

أشارت المصادر التاريخية إلى ان دقاق اول من دخل الاسلام من قبائل الغز، كما ان أسرته تعد من اوائل الاسر الغزية التي دخلت الاسلام، لكن الواضح ان سلجوق هو اول زعيم غزي دخل في الاسلام، من ولد سلجوق ونشأ نشأة عسكرية، فلما كبر كانت أمارات النجابة لائحة عليه واشتهر بالفروسية والشجاعة فقربه ملك الترك ولقبه: سباشي، ومعناه: (قائد الجيش) واستطاع سلجوق بشجاعته وكرمه ورجاحة عقله ان يستميل قلوب طوائف كبيرة من الجند والاكابر والعامة، حتى خشيه ملك الترك وخافَ من ازدياد نفوذه فتغيَر عليه؛ مما حمل سلجوق على الرحيل من تلك البلاد والمسير بقبيلته وانصاره ومن حالفه الى بلاد الاسلام، حيث جاوَرَ السامانيين والخانيين الغزنويين، ومنذ ذلك الوقت عُرف هؤلاء باسم: السلاجقة نسبة الى سلجوق الذي وحدهم تحت زعامته واخضعهم لحكم ابنائه وأحفاده من بعده ([10]).

العلاقة بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة:

عاصر سلاطين السلاجقة العظام (447-512هـ/1054-1118م) ثلاثة خلفاء عباسيين، هم على التوالي: القائم بالله (422-467هـ/1030-1074م) والمقتدي بأمر الله(467-487هـ/1074-1094م) والمستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م) وبدأت العلاقة بين الطرفين ودية، فقد كان من مصلحة العباسيين ان ينهوا السلطة البويهية ويقضوا على تمرد البساسيري ويوقفوا تغلغل النفوذ الفاطمي في اقاليمهم، كما كان من مصلحة السلاجقة ان يحصلوا على تأييد الخلافة العباسية لشرعية نفوذهم في بلاد فارس والأناضول والعراق .والواقع ان عصر السيطرة السلجوقية لم يختلف عن عصر التسلط البويهي، من ناحية الموقف من الخلافة العباسية الا في بعض المظاهر الشكلية. اما من الناحية الفعلية فقد بقي الخلفاء العباسيون مسلوبي السلطة قليلي النفوذ في السياسة والادارة، ورغم ان السلاطين السلاجقة لم يتخذوا منصب امير الامراء او يستقروا في بغداد، كما فعل البويهيون الا انهم لم يتنازلوا عن سلطتهم الواسعة، بحيث تُركَ الخليفة لاعمل له الا ادارة اقطاعاته والتهديد بتأثيره الديني كلما زادت ضغوط الترك في العصر الثاني والبويهي في العصر الثالث والسلاجقة الان ولم تستعيد الخلافة نفوذها القديم الذي تمتعت به في العصر الذهبي ([11]).

لم يحدث تغير جوهري لأوضاع العراق والخلافة في ظل النفوذ السلجوقي، الذي اعلن ولائه واحترامه امام الامة لكنه في الواقع كان كأي سلطة اجنبية طامعة تنطلق من وحي مصالحها السياسية وأطماعها، والمرجح ان الخلافة أخطأت حساباتها مرة اخرى كما حصل ذلك مع البويهيين من قبل، ظانة ان الاعتماد على القوة الاجنبية هو الحل لمشاكلها لانقاذها من مأزقها، حيث ان الخلافة العباسية لم يكن لديها اي خيار فهي مغلوبة على امرها، والبساسيري ضاغط على الخليفة يريد ان يدعو للفاطميين في مصر، وتراسلت الخلافة مع السلاجقة مضطرة للخلاص، وتبعا لذلك سار طغرل بك الى بغداد لبسط نفوذه في محرم (447هـ/1054م)([12]).

انتزاع تفويض الصلاحيات:

حظي الخلفاء العباسيون باحترام السلاجقة وتقديرهم ظاهريا، وكان الهدف من ذلك ابقاء الخلفاء بعيدين عن شؤون الدولة وان يوفروا للسلاجقة غطاءً شرعياِ يحكم البلاد من خلال التفويض ومنح الالقاب والخِلعَ ([13]) ، قال آرنولد :" ان السلاجقة كانوا يحترمون الخليفة العباسي لا لمركزه السياسي بل لأنه خليفة الله او ظل الله " ([14])، وقبيل دخول سلاجقة بغداد أَمرَ الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يذكر اسم السلطان السلجوقي طغرل بك

---

[9] .الصلابي :دولة السلاجقة :ص20()

[10] .العريس :محمد :موسوعة العصر العباسي، (بيروت :دار اليوسف ،2005)،ص 242()

[11] .زكار:تاريخ العرب ،ص 329()

[12] ابن الجوزي :ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، (ت 597هـ):المنتظم في تاريخ الملوك والامم (بغداد :الدار() .الوطنية :1995)،ج 8،ص 233

[13] .زكار :تاريخ العرب والإسلام ،ص 330()

[14] .الصلابي :دولة السلاجقة ،ص62 عن ارنولد()

في الخطبة وان يكون لقبه: " السلطان ركن الدولة ابا طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين"([15]) ،وحينما عاد السلطان من الموصل الى بغداد ، حظي بمقابلة الخليفة فمنحه تفويضاً عاماً، وقال الخليفة لوزير طغرل بك أبا نصر عميد الملك الكندري أن يترجم للسلطان، بقوله :"وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك واجتهد في عمارة البلاد وصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم "([16]) وبعد هذا التفويض زاد الخليفة في إكرام طغرل بك بمنحِه الخلع العديدة والتاج وخاطبه بـ:ملك المشرق والمغرب ([17]).

استمر السلاطين السلاجقة يتطلعون الى الحصول على التأييد المعنوي من الخليفة، فالسلطان ألب ارسلان لم يزر بغداد كثيراً، وكلف وفداً للذهاب الى بغداد ان يلتمس من الخليفة العباسي تسميته بـ:الوَلدَ المؤيد، فأجابه الخليفة الى ذلك ولقبه بـ:ضياء الدين عضد الدولة، وعندما زار السلطان ملك شاه بغداد تطلعَ الى الحصول على المزيد من الالقاب والخِلَع، بعد ان قَدَّم الهدايا ومظاهر الاحترام والطاعة، فجلس له الخليفة جلوساً عاماً وخلع عليه وزادَ في تلقيبه، كما أرسل وفداً الى الخليفة يلتمس منه الموافقة على ترشيح ابنه ابي شجاع أحمد لولاية العهد وإكرامه بالألقاب، فأجابه الخليفة لذلك ولقبه: "ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة وعدة أمير المؤمنين"([18]).

وهناك عدة وسائل لمظاهر البذخ والترف عند سلاطين السلاجقة، نذكر منها :

1-الألقاب:

تجاوز الترك وسلاطينهم السلاجقة الحد في اتخاذهم الالقاب، التي تعكس قوتهم وسلطانهم من جهة وضعف الخلافة من جهة اخرى ([19])، فنقشت ألقابهم على السكة وكتبت في مخاطبات الجد الاكبرللعائلة دقاق، اما سلجوق فلقبه: سباشي، ومعناه:(قائد الجيش)([20]).

اما طغرل بك فلقب في سنة (429هـ/1037م)بلقب: ملك الملوك وهو اول ملك او سلطان سلجوقي، وفي (25ذي القعدة 447هـ/1055م)توج وطوق وسور، وافيضت عليه سبع خِلَع سود من طراز واحد تمثل مملكة الاقاليم السبعة، وعُمم بعمامة مذهبة وجَمع بين تاج العرب والعجم وقُلد سيفاً مُحلى بالذهب، ثم قلده الخليفة سيفاً آخر كان بين يديه فتم له بذلك تقليد السيفين، بمعنى انه تقلد ولاية الدولتين، فخاطبه الخليفة بـ:((ملك المشرق والمغرب))([21]) ،وكذلك لقبه بـ: شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب ومحيي الإسلام وخليفة، والامام يمين خليفة الله أمير المؤمنين ([22]) ، وعند دخوله بغداد لقبه الخليفة: ركن الدولة ويمين أمير المؤمنين، ثم تلقب بـ: ملك المشرق والمغرب،وتلقبَ السلطان الب ارسلان بلقب: عضد الدولة برهان أمير المؤمنين واقترح ان يخاطب له بـ:(المؤَيد) فأُجيبَ إلى ذلك ولُقب: ضياء الدين عضد الدولة، وقيل له: سلطان العالم، وبعد موقعة ملاذكرد سنة (463هـ/1070م)([23])التي انتصر فيها السلاجقة على الروم وأسروا الامبراطور رومانوس، ذكره الخليفة القائم بخطاب التهنئة (الولد السيد الاجل) المؤيد المنصور المظفر السلطان الأعظم مالك العرب والعجم سيد ملوك ضياء الدين غياث المسلمين ظهير الإيمان كهف الانام عضد الدولة القاهرة تاج الدولة الباهرة سلطان ديار المسلمين برهان امير المؤمنين، وعرف السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان بلقب: السلطان معز الدنيا والدين قسيم امير المؤمنين .([24])ثم أُقب بلقب: السلطان المعظم شاهنشاه ركن الاسلام معز الدنيا والدين ملك العرب والعجم،

---

[15] .زكار:تاريخ العرب والإسلام ،ص331()

[16] .فوزي :الخلافة العباسية ،ج 2،ص170()

[17] .ابو بدر :شاكر أحمد :الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، (بيروت :مطبعة المعارف ،1972)،ص 33()

[18] .زيدان :جرجي ،تاريخ التمدن الإسلامي، (القاهرة:دار الهلال :1973) ،ج 4،ص 220()

[19] .فوزي :الخلافة العباسية ،ج2،ص 173()

[20] .طقوش :تاريخ الدولة العباسية ،ص ص 240،239()

[21] .حسن ابرهيم حسن :النظم الاسلامية (القاهرة :مكتبة النهضة المصرية ،1970)،ص 70()

[22] .ابن الجوزي،المنتظم ،ج8،ص243()

[23] .السامرائي :تاريخ الدولة الاسلامية ،ص 230()

[24] .القيسي :حسين علي :طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر (بغداد:دار الشؤون الثقافية :2007)،ص 28()

سلطان ارض الله ركن الاسلام والمسلمين يمين أمير المؤمنين([25])، وكذلك لقب السلطان الكبير جلال الدولة ابو الفتح ([26])، وكان ملكشاه كما وصفه ابن خلكان :"أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل"([27]).

مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر السلاجقة:

كان اهم مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد فارس وبغداد في عصر الدولة السلجوقية ،انغماس السلاطين وكبار رجال الدولة في الترف اذ كانوا يعيشون عيشة تتسم بالبذخ والأبهة؛ لأن اتساع الدولة يَسَّر لهم سُبل الحياة المترفة الناعمة وقد شغف السلاجقة بالسكن في القصور الفاخرة بعد قيام دولتهم واستقرارهم وتركهم حياة البداوة والتنقل وتفننوا في تجميل قصورهم، فكانت قصور السلاطين مَضرب المثل في الروعة والجمال، وكانت لهم مجالس للطرب والغناء والشراب، ولم تقتصر مجالس الغناء والطرب على السلاطين بل قلدهم فيها الامراء والوزراء وكبار رجال الدولة ([28])كذلك؛ لارتدائهم افخر الملابس المصنوعة من الاقمشة الموشاة بالذهب والفضة والمرصعة بالدر والجواهر الثمينة التي لاتقدر بثمن، يجلبونها من الهند والصين ([29])، أما النساء داخل القصور السلجوقية فكن يتفنن في اختيار الازياء الثمينة ذات الالوان المتباينة المحلاة بخيوط الذهب والفضة والجواهر وعلى رؤوسهن العصائب المرصعة بالدر والياقوت والأحجار الكريمة الغالية الثمن ([30]) ،كما كنَ يتزيينَ بالقلائد والاكاليل والتيجان والمناطق من الاقمشة الحريرية المزينة بقطع من الذهب مع الفضة، وكذلك كن يلبسنَ الخلاخِل الثمينة في أقدامهن ([31])، فضلا عن أن القصور كانت آية في روعة البناء وحسن التنسيق وجمال التأثيث وبديع التزيين، كما كانت محاطة بالحدائق ذات الزهور المستوردة من جميع المناطق القريبة والبعيدة، وزينت في الفناء ذات الأناقة والبهاء، وصممت الزهور بطريقة هندسية غاية في الروعة والجمالية بالغة([32])،ففي متحف بنسلفانيا كسوة جدار بالجص والزخارف البارزة، عليها رسم السلطان طغرل بك جالس داخل حنية تمثل قاعة العرش، وأمامه تبدو قوائم عرشه وكأنها شماعد على شكل زهرة اللوتس من أعلى، وتنتهي قاعدة العرش من أسفل على هيئة أفيال، وفي الجزء العلوي من هذه الكسوة الجصية شريط من كتابة خط النسخ، نصها: " السلطان الملك الأعظم طغرل بك العالم "، كما كتبت أيضا كتابة على العرش بنص: " الملك المظفر العادل " ([33]) ، وتجد السلطان نفسه يضع تاجاً ذا ثلاثة فصوص تزينه مجموعة من حبيبات، ربما تعتبر من حبات لؤلؤ قد رُصعَ التاج بها ([34])، وقد أدى انغماس السلاطين السلاجقة وكبار رجال الدولة في ألوان الحياة المترفة إلى إصابتهم بالأمراض المُهلكة؛ نتيجة الانكباب على الملذات والشهوات وعدم التوسط في ممارسة ألوان الحياة المختلفة، كما أمرت بذلك تعاليم الإسلام التي دعت المسلمين الى ان يكونوا أمة وسطاً والى ان يأكلوا ويشربوا دون ان يسرفوا.([35])

اثار الترف والبذخ في المجتمع البغدادي:

لم يكن الترف والبذخ الذي نعِمَ به الخلفاء والأمراء والسلاطين السلاجقة ورجالات الدولة سائدا بين جميع طبقات المجتمع البغدادي، فغالبية السكان من الطبقة العامة التي تضم الصناع والفلاحين وعدد كبير من العلماء والأدباء، وكان مستوى معيشة هذهِ الطبقة متباينا ([36])، قال التنوخي :" ان الباعة المتجولين الذين

---

[25] السامرائي :تاريخ الدولة الاسلامية ،ص 231().

[26] مجموعة مؤلفين :موسوعة المقاومة البغدادية منذ التأسيس حتى الغزو المغولي (بغداد:بيت الحكمة :2003")،ص 144().

[27] طقوش :تاريخ الدولة العباسية ،ص 241().

[28] المرجع نفسه ،ص99 ().

[29] المرجع نفسه ،ص 244 ().

[30] ناجي : د. عبد الجبار :الدولة العربية في العصر العباسي، (البصرة :دار الكتب والوثائق :1989)،ص 414().

[31] فوزي :الخلافة العباسية ،ج 2،ص 180().

[32] الجميلي :رشيد عبد الله :تاريخ الدولة العربية الإسلامية، (بغداد :دار الكتب العربية :1989) ،ص 70().

[33] الصلابي :دولة اليلاجقة ،ص 145().

[34] الخالدي :الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ،ص 144().

[35] ابن الجوزي :المنتظم ،ج 8، ص 243().

[36] حسنين :عبد النعيم محمد :إيران والعراق في العصر السلجوقي، (بيروت :دار الكتاب اللبناني ،1982) ص 187().

يعرضون سلعهم على قارعة الطريق قد يبيعون بدرهمين في اليوم، ويصل أجر المعلم الى درهمين او ثلاثة في اليوم، أما الطبيب الذي يُعالِج العامة فيصِل أجرهُ الى اربعة دراهم يوميا، وكانت دورهم التي يسكنونها غاية في البساطة لا تحميهم برد الشتاء ولا حر الصيف في أغلب الأحيان " ([37]).ونتيجة لهذا التفاوت في المعيشة بين الخلفاء ورجالاتهم وطبقة العامة، ادى الى نتائج وآثار في المجتمع البغدادي، منها: قيام ثورات ضد الحكام وأساليب وطريقة حكمهم غير العادل تجاه رعيتهم، أدى إلى المطالبة وبشكل مستمر إلى زيادة الأجور وتوفير وسائل الميعشة لهم، وكذلك دفع المَيل الى التَرَف بعض رجالات الدولة الى الالتجاء الى الرشوة في توزيع الوظائف، كما لم يتحرج بعض الخلفاء أو الأمراء والوزراء عن فرض ضرائب على الناس بشكل عشوائي؛ وذلك لحاجتهم إلى المال نتيجة حياة الترف والبذخ التي تعودوا عليها .([38])

خطوبة طغرل بك من ابنة الخليفة القائم بالله العباسي:

في سنة (553هـ/1158م)خَطبَ السلطان طغرل بك ابنة الخليفة فانزعج من ذلك وقال هذا شيء لم تجرِ العادة بمثله، ثم طلب اشياءَ كثيرة كهيئة المُبعِد له، وفي عام (554هـ/1159م) أجاب الخليفة في محرم منها الى الوصلة، وكتب وكالة باسم عميد الملك شهد فيها قاضي القضاة،فَسُرَ (فرح) السلطان واحتفل ووفي له القدر بما كفل ([39]) ،وعقد العقد في تبريز وسُيرت الهدايا واصحبه برسم الخليفة ثلاثين غلاما وجارية اتراكا على ثلاثين فرسا، وخادمين وفرس بمركب ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة آلاف دينار، وبرسم السيدة عشرة عشرة الاف دينار وتوقيعا ببعقوبا وما كان لخاتون المتوفاة بالعراق، وعقداً فيه ثلاثون حبة لؤلؤ وكل حبة لؤلؤ تقدر آنذاك بخمسة آلاف دينار وبرسم عدة الدين خمسة آلاف دينار، وبرسم السيدة والدة المخطوبة ثلاثة آلاف دينار، وذلك في شوال من السنة نفسها، فلما قَرُب رئيس العراقين من بغداد تلقاه الناس واستبشروا بانتظام الألفة بين الامامة والسلطنة، فلما وصل الى باب النوبي نزل وَقبَّل الارض ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وأدى من خدمتها الغَرض، وأوصلَ اليها ما حمله فتولت تسليمه وباشرت عرضه بالمقام النبوي وتقديمه ([40]).

ولما استقر الملك طغرل بك ارسل وزيره يطلب بنقل السيدة من الدار العزيزة النبوية الى دار السلطنة فتَمنَعَ الخليفة، وقال : " انكم سألتم ان يُعقد العقد فقط لحصول السلطان زيادة على النقد مائة ألف دينار ومائة وخمسين ألف درهم وأيضاً عدداً من التحف، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار السلطنة فضُربت لها السرادقات في دجلة الى دار السلطنة، وضربت الدبادب والبوقات، وعند دخولها دار السلطنة وكانت ساعة عظيمة أُجلست على سرير مكلل بالذهب وعلى وجهها بُرقع، ودخل السلطان طغرل بك فوقف بين يديها فَقبَّلَ الأرض ولم تقم له ولم تره ولم يجلس، حتى انصرف إلى صحن الدار والحُجّاب والأتراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً، وبعث لها مع الخاتون ارسلان ابنة أخيه زوجة الخليفة عقدين فاخرين وقطعة ياقوتة حمراء هائلة، ودخل من الغد فقبل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة ([41]).وبإزائها ساعة ثم خرج، وأرسلَ لها جواهر كثيرة ونفيسة مثمنة وفوجية نسيج مكلل باللؤلؤ، ومازال كذلك كل يوم يدخل ويُقبَل الأرض ويجلس على سرير بإزائها ثم يخرج فيبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شيء مقدار سبعة أيام ويمد كل يوم من هذه الايام السبعة سماطا عظيما، وخلع يوم السابع على جميع الأمراء، ثم عرض له سفر([42]).

---

[37] التنوخي :علي بن محمد : نشوار المحاضرة ،ج2،ص 144 ().

[38] أيوب :إبراهيم :التاريخ العباسي السياسي والحضاري، (بيروت :الشركة العالمية للكتاب ،2001)،ص257 ().

[39] العبيدي :صلاح حميد :الملابس الاسلامية في العصر العباسي الثاني، (بغداد :دار الرشيد :1980)، ص 84 ().

[40] رحمة الله :مليحة :الحالة الاجتماعية في العراق، (بغداد:مطبعة الزهراء :1970)،ص 78 ().

[41] الاصفهاني :عماد الدين محمد بن محمد بن حامد ، (ت 597هـ):تاريخ دولة آل سلجوق (بيروت :دار الكتب العلمية ():2004)، ص ص195-196.

[42] ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي، (ت 774هـ):البداية والنهاية (القاهرة :مكتبة النهضة :1984)،ج()15،ص ص 188-189.

وبخصوص وصف جهاز ابنة السلطان ملك شاه وزفافها في المحرم، فقد نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجلله بالديباج الرومي، وكان اكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاثة عماديات، وعلى أربع وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الفضة والذهب، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة لا يُقَدَّرَ ما فيها من الجواهر والحُلي، وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فَرَساً من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم، ولم تكن قصور الامراء أقل روعة عن قصور الخلفاء عامة، فقد انتقلت الثروة في عهد امراء بني بويه من ايدي الخلفاء اليهم ([43]).

جاء السلاجقة العسكريون يحكمون العراق ويستأثرون بالسلطة، وكان الخلفاء العباسيون يعيشون في ايام السلاجقة من اقطاعات مفرزة يديرها عمال، على رأسهم وزير وكاتب الانشاء كما كانت الحال في ايام بني بويه، ولم يكن لهؤلاء الخلفاء شيء سوى ذكر اسمهم في الخُطبة ونقشه على السكة. كما كانوا يقضون أوقاتهم في بناء القصور وترميمها ([44])،على الرغم من ان حياة الترف والبذخ كانت لها نتائج سيئة، فان هذه الحياة أنتجت مظاهر حضارية، نذكر منها :

1-بناء القصور والجوامع الفخمة وان كلفت الدولة أموالاً كثيرة، الا أنها تُعد من مظاهر تقدم العمران والفنون، فالقصور التي بناها الخلفاء تعد دليلا على مدى تقدم فن العمارة .

2-تقدم الصناعات المختلفة ورواجها، نذكر من بينها صناعة الخز والوشي والديباج والسجاد والمنسوج من الصوف او الحرير، والاواني الزجاجية والخزفية بألوانها الرائعة والزاهية ذات النقوش الراقية، وهذا دليل على دقة العمل في هذا المجال .

3-الأدب والغناء اللذين كان للترف والنعيم الذي ساد بلاط الخلفاء والامراء والسلاطين اثر كبير في تقدمهما، ذلك ان انظار الادباء والشعراء والمغنين كانت موجهة الى الخلفاء والأمراء، ومن ثم توافدوا إلى قصورهم ليعرضوا إنتاجهم؛ طمعا في هباتهم وأعطياتهم، الأمر الذي أدى إلى ازدهار النتاج الأدبي والفني بشكل عام([45]).

الخاتمة:

استطاع السلاجقة تأسيس إمبراطورية واسعة ضمت لأول مرة أجزاء واسعة من الأراضي لم تعرف الطاعة للخلافة العباسية، وقد احتفظ الخلفاء العباسيون كحكام اسميين، لكن قيام الامبراطورية السلجوقية قوّى الخلافة وبعث الحياة فيها، وأصبح نفوذ الخليفة العباسي بالرغم من انه كان اسميا على مناطق جديدة ([46]) ، وكان الأتراك السلاجقة يمثلون القوة الإسلامية الجديدة التي حلت محل الغزنويين في خراسان والمشرق الإسلامي، والتي غزت الإسلام بدماء فتية جديدة ساعدتها على الصمود والانتصار والانتشار في بلاد الروم، ذلك لأن الخلافة العباسية قبل ذلك الوقت كانت عاجزة عن حماية حدودها بسبب عداوتها مع الخلافة الفاطمية في القاهرة، وقد انتهزت الدولة البيزنطية هذه الفرصة وأخذت تُغِير على الحدود العباسية في ذلك الوقت، الى ان جاءتها من المشرق تلك القوة الفتية فأنقذتها من انهيار محقق، وكان لقب السلطان الذي أطلقه السلاجقة على أنفسهم تطوراً لمنصب: أمير الأمراء، واعتمد السلاجقة في حكمهم وإدارتهم على طبقة من الإداريين الفرس، وكانت تقاليد السلطة عندهم مزيجاً من التقاليد التركية والفارسية، وقد تطور نظام الاقطاع العسكري في عصر السلاجقة، كما وجد لديهم نظام الاتابكية، وأحدثت هجرة الأتراك إلى إيران والعراق تأثيراً بشرياً واجتماعياً كبيراً، فقد أزالت الهجرة طبقات الارستقراطية المحلية وأحلَّت مَحَلها طبقات تركية جديدة، كما ان الهجرة استقدمت أعداداً وفيرة

---

[43] ابن الاثير:ابو الحسن عز الدين علي بن ابي الكرم بن عبد الكريم الشيباني، (ت 630هـ):الكامل في التاريخ (بيروت :دار الفكر :1987) ،ج 8،ص 451.

[44] ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ):العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت :دار الفكر :2000) ،ج 5، ص 122.

[45] حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام ،ج4،ص 72.

[46] مليحة رحمة الله :الحالة الاجتماعية في العراق ،ص 78.

من الترك واختلط الترك بالسكان المحليين، من خلال المصاهرات والأعمال التجارية، وأصبح الترك جزءاً من السكان الأصليين(47).

الهوامش والمصادر والمراجع

47() ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،ج 8 ،ص 452.